

# السفاليّة

## أرجوزة ملاحية فلكية لأحمد بن ماجد

دراسة عن الملاحة العربية على سواحل أفريقية الشرقية

وبين جزرها في القرن الخامس عشر

بحث تحليلي للأستاذ ابراهيم خوري\*

عرض وتلخيص : غزوة بدير

كتب كثير من الباحثين العرب والمستشرقين عن الملاح العربي أحمد بن ماجد، ويلاحظ اعتماد عن الحقيقة والموضوعية في كتابات بعض المستشرقين في دراسة أخبار هذا الملاح العربي الكبير . ولقد ترجمت أعمال ابن ماجد الى لغات عدة مثل الانكليزية والروسية والفرنسية والبرتغالية . ففي عام ١٩٥٧م نشر المستشرق ت. أ. شومفسكي الروسي صورة عن مخطوطة تحتوي على ثلاث قصائد لابن ماجد مترجمة الى الروسية سماها : « ثلاث راہمانجات لأحمد بن ماجد ، مرشد فاسكودوغاما » . وجد شومفسكي صورة لهذه المخطوطة في معهد الاستشراق التابع للمجمع العلمي بالاتحاد السوفيتي . وكذلك قام الأستاذ غبريل فيران بترجمة كتاب « الفوائد في أصول علم البحر والقواعد » . ولكن يبدو عند قراءة الكتابين أن كثيراً من الأخطاء ظهرت في تحقيقهما . وهنا يجدر بنا نحن العرب العارفين بحقيقة ذلك أن نصح تلك الأخطاء . ولقد كان الأستاذ ابراهيم الخوري أول من قام بتلك الخطوة الجريئة ليصلح للأستاذ شومفسكي وغيره من المستشرقين ما أخطؤوا فيه . فقد ترجم أرجوزة السفالية الى اللغة الانكليزية وشرحها ، وأظهر من خلال الترجمة بعض ما أدخله بعض المستشرقين حول ابن ماجد من زيف .

\* Centro de Estudos de Cartografia Antiga. As-Sufaliyya « The Poem of Sofala », By Ahmad Ibn Magid Translated and Explained. By Ibrahim Khoury.

تناقش دراسة الأستاذ الخوري أموراً ثلاثة أساسية .

١ - بيان الأبيات المدسوسة في أرجوزة ابن ماجد ، وتحديد ذلك ، ومن ثم رفض النتائج التي ترتبت على هذا المنحل .

٢ - تعريفاً بعلوم الملاحة العربية قبل ابن ماجد وفي عصره .

٣ - بيان قدرة العرب الملاحية على الاهتداء بالنجوم وتصنيفهم للكواكب التي يهتدون بها في رحلاتهم .

هذه الدراسة هي الأولى من نوعها وتتناول في الترجمة تحليل إحدى أراجيز الملاح العربي أحمد، بن ماجد مع الإشارة إلى أن بعض المستشرقين قد قاموا بمثل هذه الترجمة، لكنهم ارتكبوا أخطاء عديدة منها أخطاء النسخ وأبيات مضافة إليها . تحتوي هذه الدراسة إذن على تقويم نص السفالية .

يلح المؤلف في القسم الأول على ناحية جوهرية توصل إليها في تحقيقه هي : زيادة عدد الأبيات الواردة في المخطوطة عما نظمه ابن ماجد . فالعدد المحصى في نسخة ليننغراد ٨٠٧ بيت ، ولم يترجم شومفسكي إلا ٨٠٥ بيت . وأما عدد الأبيات الحقيقي فهو ٧٠١ بيت فقط مثلما جاء حرفياً في الورقة ٩٦ من المخطوط :

هي (١) سبع مائة ، بيت يزيد عنها عن أحمد السعدي أحفظنها

والفرق بين الأبيات الحقيقية والمقمة ١٠٦ بيت . ومنهج المحقق يكمن في أنه :

أ - لا يجوز ، ولا يمكن أن نتحدث السفالية عن أحداث وقعت بعد كتابتها . فكما يظهر كتبت الأرجوزة قبل عام ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م ، فكل ما جاء فيها عن البرتغاليين مقحم ، لأنهم وصلوا إلى المحيط الهندي عام ٩٠٣ هـ فكيف يكتب عنهم ؟ وما يدعم قولنا انزواء ابن ماجد في آخر حياته في صعدة أو مكة ، مسكنه وكذلك ما ذكر في الأبيات المدسوسة من أن البرتغاليين وصلوا إلى جزيرة وازة عام ٩٠١ هـ / ١٤٩٥ م . إذا فكل الأبيات التي تتكلم على البرتغاليين مدسوسة وبهذا تبلغ ٦٩ بيتاً من أصل ١٠٦ بيت مقحم .

ب - كما يستنتج النحل من التكرار الخاطيء ، في وصف فروع النيل ، أو من تكرار نجوم هداية في غير موضعها بعد أن سبق الحديث عنها . وتظهر بعض المقاطع المقمة مثلاً : الفرنج ، دلالات الأرض ، نجوم الملاحة وغيرها . ويختلف هذا الأسلوب عن أسلوب ابن ماجد .

١ - هكذا ورد البيت ولتقويم وزنه نرى أن الأصل .

سبع مائة بيت يزيد عنها عن أحمد السعدي أحفظنها

بدون الضمير المنفصل وبالوقوف على مائة .

أما القسم الثاني من الكتاب فقد كرس لترجمة السفالية وتحليلها . فصل المحقق الأبيات المدسوسة عن النص ، وترجمها في ملحق في تسع صفحات . وقام بترجمة أبيات السفالية الأصلية حرفياً إلى الانكليزية ، وقسمها إلى فقرات وجمعها في فصول وهي :

- ١ - الخطوط البحرية عبر بحر العرب والتقائوها في السيف الطويل .
- ٢ - الملاحة من السيف الطويل إلى السواحل
- ٣ - الملاحة ازاء ساحل الزنج والأخوار .
- ٤ - الملاحة الساحلية والملاحة في الباحة مقابل سفالة .
- ٥ - الملاحة بين سواحل افريقية الشرقية وبين جزيرة القمر والجزر الأخرى . ثم خاتمة .

ويشبه هذا التقسيم إلى حد كبير ما قام به ابن ماجد في أرجوزة : « حاوية الاختصار في أصول علم البحار » التي نشرها الأستاذ خوري أيضاً ، وترجمها إلى الفرنسية عام ١٩٧١ م . ويعبر هذا التقسيم عن سعة اطلاع ابن ماجد .

وآخر أقسام الكتاب هو : الهداية بالنجوم في البحر . وهذا العلم قديم جداً عند العرب . ويعرض ابن ماجد هنا ذروة تطور الهداية ، ويصنف نجومها إلى فئات عديدة :

- أ - نجوم القياس .
- ب - نجوم الأخنان .
- ج - نجوم درجات العرض .
- د - نجوم الأبدال أو التحقق أو الارتكاز .

وكرس المؤلف آخر صفحة من الكتاب ثبثاً بمراجع التحقيق منها ما هو أجنبي ( فرنسي ، انكليزي ) وما هو عربي .

لقد حاول الأستاذ ابراهيم خوري إزالة كثير من الأوهام مما قيل عن ابن ماجد وهذا ما يجدر بنا نحن العرب أن نقوم بعمله في كل الكتب التي يترجمها المستشرقون .

